

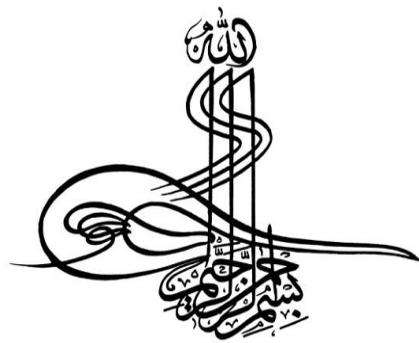
إشكالية

استغفار المعصومين



مؤسسة الدليل
للدراسات والبحوث الفقهية
Al-Daleel Foundation
For Doctrinal Studies

<http://aldaleel-inst.com>
www.facebook.com/aldaleel.inst



هوية الكراس

اسم الكراسة: اشكالية استغفار المعصومين ﷺ
المؤلف: الدكتور محسن محقق
المراجعة العلمية: المجلس العلمي في مؤسسه الدليل
التقويم اللغوي: علي كيم
تصميم الغلاف: محمد حسن آزادگان
الإخراج الفني: فاضل السوداني
الناشر: مؤسسه الدليل للدراسات والبحوث العقديّة
حقوق الطبع والنشر محفوظة لدى مؤسسه الدليل



مؤسسه الدليل
للدراسات والبحوث العقديّة
Al-Daleel Foundation
For Doctrinal Studies

<http://aldaleel-inst.com>
www.facebook.com/aldaleel.inst

كلمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام والمرسلين
أبي القاسم محمّدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وبعد.
تعدّ المنظومة الفكرية العقديّة من أهمّ دعائم شخصيّة الإنسان
وتميّزه البشريّ؛ فهي التي تحدّد نظرتّه العامّة للكون وعلاقته به،
ولها تأثير مباشرٌ على مساره السلوكي وطبيعة تعاطيه مع محيطه ونمط
الحياة التي يعيشها، هذا على صعيد الفرد، وأمّا على صعيد المجتمع
فإنّ المنظومة الفكرية العقديّة تنعكس على مجمل العلاقات بين
أفراد المجتمع، كما أنّها تحدّد نوع النظم (السياسيّة والاقتصاديّة
والاجتماعيّة) التي تحكم تلك العلاقات.
وعلى هذا فالمنظومة الفكرية والعقديّة تتحكم بمصير الإنسان،

6.....حقيقة استغفار الأنبياء والأولياء ﷺ

فإمّا أن تصنع له سعادةً واستقراراً وحياءً كريماً، وإمّا أن تغرقه في شقاءٍ وفوضى وإذلالٍ.

فينبغي للإنسان أن يعتني بعقيدته، وأن يطمئنّ لسلامتها من الانحراف والتشويه، وأن يبادر لمعالجة ما يشوبها بسبب الشبهات. فالיום وفي ظلّ الظروف الراهنة التي يعيشها العالم الإسلامي بشكلٍ عامّ، وبلدنا العراق بشكلٍ خاصّ، ندرك أنّ هناك تهديداً كبيراً للفكر والعقيدة الإسلاميّة الحقّة ومن دوائر مختلفة، ونستشعر حاجة مجتمعنا الماسّة والملحّة لبيان معالم العقيدة الصحيحة، ورفع الشبهات التي ألبست على بعض الناس عقائدهم.

من هنا جاء مشروع مؤسّسة الدليل للبحوث والدراسات العقديّة التابعة للعتبة الحسينيّة المقدّسة؛ تلبيةً لهذه الحاجة، وليحمل على عاتقه مسؤوليّة التصديّ لدفع الشبهات، والتأكيد على العقائد الحقّة بالوسائل والإمكانيّات المتاحة؛ وذلك للمساهمة في سدّ الفراغ الفكريّ العقديّ الذي يعاني منه المجتمع.

ومن أبرز تلك الوسائل المعتمدة في مشروعنا أسلوب البحث وفق رؤية علميّة موضوعيّة، وبخطابٍ سلسٍ شيقٍ يتناغم مع أغلب شرائح المجتمع، فكان قرار المجلس العلميّ الموقر في المؤسّسة إطلاق مشروع سلسلة الكراسيّة العقديّة، وهي مؤلّفاتٌ موجزةٌ في شكلها

وحجمها، كبيرةً في مضمونها وأهدافها؛ لمعالجة موضوعاتٍ محدّدة، وحسب الحاجة الفعلية.

ونتيجةً لما يطرح في الساحة الفكرية في هذا الزمان من قبل بعض الجهات والشخصيات ذات المشاريع الفكرية المنحرفة عن جادة الصواب وأتباعهم، من نشر الأفكار المعادية للاعتقاد الديني، ومحاولة فصل الدين عن الحياة، والتعرّض لشخصيات حملة أسرار الوحي من الأنبياء والأولياء عليهم السلام ولعصمتهم؛ فقد رأت المؤسّسة طرح مجموعةٍ من البحوث على شكل كراساتٍ توضّح حقيقة مثل تلك الأفكار والأطروحات، فكان منها هذه الكراسة الموسومة (إشكالية استغفار المعصومين عليهم السلام).

وختامًا تتوجّه مؤسّسة الدليل بالشكر الجزيل لمسؤول وحدة التدوين الموسوعيّ فيها الدكتور محسن محقق؛ لما بذله من جهدٍ قيمٍ في كتابة هذا البحث، ونرجو له التوفيق والسداد، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيّدنا محمدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

المُفْتَرَةُ

إنَّ عصمة الأنبياء من المسائل الكلامية المهمة التي بحثت في أكثر الكتب الكلامية، وذكر لها المتكلمون دلائل عقلية ونقلية متعدّدة. إنَّ الهدف الأصلي من بعثة الأنبياء هو هداية البشر إلى الحقائق، وتعريفهم بالوظائف التي أمرهم الله - سبحانه - بأدائها. وإذا كان الأمر كذلك، ورأى الإنسان أنّ من يوصل إليه التعاليم الإلهية غير ملتزم بها، وأنّ الرسل يعملون خلاف ما يدعون الناس إليه، فمن حقّ الناس أن يعدّوا عمل الرسل متناقضًا مع أقوالهم، وإذا كان لن يصبح الرسل معتمدين عند الناس، ولن يتحقّق مطلقًا الهدف الأصلي من بعثتهم.

ولمّا كان عدم عصمة الأنبياء يضع علامات استفهام كبيرة أمام اختيارهم من قبل الله - تعالى - لإيصال وحيه إلى الناس، ولمّا كنّا نواجه بعض الروايات الحاوية على تعابير توحى باعتراف الأنبياء

بالذنب وطلب العفو؛ فلا شك أن يخطر في ذهن العلماء السؤال التالي: إذا كان الأنبياء والأئمة عليهم السلام معصومين من أيّ ذنبٍ أو خطأ، فكيف يمكن توجيه اعترافهم لله بالخطأ والتقصير، وكيف لنا أن نوجه استغفارهم الدائم مع كونهم معصومين ولا يخطئون؟
نتناول في هذه المقالة المختصرة الإجابة عن هذه التساؤلات، وسنستعرض الآراء المختلفة التي كتبت بصدد الأجابة عنها، والله وليّ التوفيق.

تفصيل الشبهة

لا شك أنّ أنبياء الله والأئمة المعصومين عليهم السلام قد اصطفاهم الله لهداية الخلق، وهذا يلزم عصمتهم، بحيث يكونون منزّهين من أيّ معصية، وبعيدين عن أيّ انحراف، ولا يستطيع الشيطان أن ينفذ فيهم بأيّ وسيلة؛ ولذا استثناهم الشيطان في قسمه: ﴿قَالَ بَعْرَتِكَ لِأَعْوِيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾¹.
وبالنظر إلى مكانة الأنبياء والعصمة التي يحملونها سيطرح دائماً سؤال عن سبب استغفارهم، ولماذا ورد على لسان الأنبياء في بعض

الآيات والأدعية استغفار عن ذنوبٍ أو أخطاءٍ قد لا يتلاءم مع مكانتهم، ومن جملة ما خاطب به الله نبيه محمدًا ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾⁽¹⁾.

وكذا قول أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام في دعاء كميل:
 «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم... اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء... اللهم اغفر لي كل ذنب أذنبته وكل خطيئة أخطأتها».

وأكثر صراحةً من كل ما تقدم ما ورد في (الكافي) عن محمد بن سليمان عن أبيه يقول:

«خَرَجْتُ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام إِلَى بَعْضِ أَمْوَالِهِ فَقَامَ إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ، فَلَمَّا فَرَغَ خَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ بِصَوْتِ حَزِينٍ وَتَعَرَّعَ دُمُوعُهُ: "رَبِّ عَصِيَّتِكَ بِلِسَانِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لِأَخْرَسْتَنِي، وَعَصِيَّتِكَ بِبَصَرِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لِأَكْمَهْتَنِي، وَعَصِيَّتِكَ بِسَمْعِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لِأَصْمَمْتَنِي،

وَعَصِيَّتِكَ بِيَدِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَكَنَنْتَنِي ، وَعَصِيَّتِكَ بِرَجْلِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَجَدَمْتَنِي وَعَصِيَّتِكَ بِفَرْجِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَعَقَمْتَنِي ، وَعَصِيَّتِكَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِي الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ وَلَيْسَ هَذَا جَزَاءَكَ مِنِّي " . قَالَ : ثُمَّ أَحْصَيْتُ لَهُ أَلْفَ مَرَّةٍ وَهُوَ يَقُولُ : " الْعَفْوَ الْعَفْوُ " . قَالَ : ثُمَّ أَلْصَقَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ بِالْأَرْضِ فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ حَزِينٍ : " بُؤْتُ إِلَيْكَ بِدَنْبِي ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرَكَ يَا مُوَلَايَ " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَلْصَقَ خَدَّهُ الْأَيْسَرَ بِالْأَرْضِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : " اِرْحَمْ مَنْ أَسَاءَ وَأَقْتَرَفَ وَأَسْتَكَانَ وَأَعْتَرَفَ " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ⁽¹⁾ .

فما هو السر في هذه الاعترافات والاستغفارات؟ هل الهدف منها تعليمي وتربوي كما هو الحال في بعض الحوارات ذات الأهداف التربوية، أو هناك وجه آخر يفسرها.

الجواب عن الشبهة

وهناك أجوبة عديدة طرحت في هذا الصدد، سنتعرض لها تباعاً، علماً أنّ الكثير من هذه الأجوبة لا تتنافى مع بعضها، ويمكن أن

تكون بأجمعها صحيحةً كما هو آتٍ:

الجواب الأول: إنّ الذنب والمعصية والرجس وما يقابلها - أي اجتناب الذنوب، والطاعة لله على مختلف الأصعدة الأخلاقية والاجتماعية والتربوية وغيرها - هي أمورٌ نسبيةٌ، ويمكن تقييمها بالنظر إلى ظروف الأفراد كلّاً على حدة، وإلى العوامل الذاتية والمحيطية لكلّ منهم، كالعمر والمرحلة الدراسية والقوة الجسميّة والقدرة الماليّة وميزان النموّ الفكريّ وغير ذلك من عوامل، ونتيجة التقييم ستكون تقدير هؤلاء الأفراد وشكرهم أو توبيخهم وتقريعهم، ففي الأمور الاجتماعية كبناء مدرسة أو مشفى مثلاً، نرى أننا إذا أردنا أن نجمع التبرّعات لهذا الغرض، وتبرّع فردٌ فقيرٌ بمبلغ بسيط، فسيكون هذا الفقير محلّ تقدير واحترام، بينما نرانا نذمّ فرداً ذا ثروة كبيرة تبرّع بأضعاف هذا المبلغ الذي تبرّع به الفقير، مع أنّه جاء للمساعدة في إنجاز مشروعٍ خيريّ.

والحال نفسه في رفع الأثقال، فالوزن الذي نتوقع حمله من طفلٍ ضعيفٍ أقلّ بكثيرٍ منه من ربّاعٍ معروفٍ، وكذا الحال في المسائل الأخلاقية والاجتماعية، فالسلوك الذي نتوقعه من القرويّ الأميّ يختلف كثيراً عما نتوقعه من المدنيّ الذي قضى دهرًا في المدينة، وعاش في أجواء التعليم والثقافة. ويمكننا أن نتغاضى عن العمل

القبيح الصادر من الفرد الجاهل، بيد أن الأمر مختلفٌ مع العالم، فكم من عملٍ لا يعدّ عيباً لدى العامة - بل فضيلةً - ويعدّ عيباً إذا صدر من شخصٍ عالمٍ.

ومن خلال الأمثلة السابقة نقول إنّ العمل الذي يعدّ عند الله ذنباً يعاتب عليه الفرد، والذي يعدّ معروفاً يؤجر عليه، تبعاً لطبيعة إيمان الفرد وميزان معرفته بالله تعالى. وبحسب ما جاء في الروايات فإنّ الإيمان ذو درجاتٍ كدرجات السلم، فقد يكون امرؤً على الدرجة الأولى، وآخر ارتقى إلى العاشرة، وهكذا⁽¹⁾، فالعمل الذي ننتظره من الفرد الذي ارتقى إلى الرتبة العاشرة يختلف كثيراً عنه من الفرد الذي يقع على الرتبة الأولى.

وقد جاء في بعض الروايات أنّ إيمان أبي ذرٍّ على الدرجة التاسعة، وإيمان سلمان على العاشرة، والفرق بين هاتين الرتبتين يصل إلى درجةٍ جعلت المعصوم عليه السلام يقول: «لو علم أبو ذرٍّ ما في قلب سلمان لقتله».

وإذا كانت درجات إيمان غير المعصومين متفاوتةً إلى هذا الحدّ،

1- انظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج 2، ص 45.

فكيف هو الحال في تفاوتها بين الأنبياء وسائر المؤمنين؟! وكيف تتفاوت درجات المرسلين ﷺ مع غيرهم من الأنبياء؟ وإلى أيّ مدى يختلف أولو العزم ﷺ عن غيرهم؟ ماذا عن مكانة النبي الأكرم ﷺ والأئمة المعصومين ﷺ؟

فإذا عدّ عملٌ ما ذنبًا لفاعله، فلا بدّ أن يتناسب هذا الحساب مع هذه الاختلافات والراتب [المذكورة أعلاه]، فيفسّر عمله ذنبًا بالتناسب مع مرتبة إيمانه.

فالأنبياء ﷺ إذا ما استغفروا، فهذا لا يعني أنّهم يستغفرون من الذنوب العاديّة التي ينهون الناس عن اقترافها، بل إنّ مكانتهم تجعلهم يستغفرون لأدنى غفلةٍ عن عظمة الخالق، فزاهم يتوبون إلى ربّهم كما جاء في القرآن المجيد.

وهذا التوجيه جاء في كلام بعض العلماء كالخواجة نصير الدين الطوسي⁽¹⁾، والفاضل المقداد⁽²⁾، والمحدّث الإربليّ في كتابه (كشف

1- انظر: الطوسي، نصير الدين، أوصاف الأشراف، ص 17.

2- انظر: الفاضل المقداد، الأنوار الجلالية في شرح الفصول النصيرية، ص

الغمّة⁽¹⁾، والعلامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان)⁽²⁾. وقد قبل صدر المتألهين الشيرازي هذا الكلام وذكره في شرحه للكافي⁽³⁾، ونقل كلام المحقق الإربلي الوارد في كتاب (كشف الغمة).

يقول المحقق الإربلي في معرض شرحه لحياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن قضية الدعاء الذي دعا به الإمام عليه السلام في سجوده، والذي جاء فيه تعابير مثل: "رب عصيتك بلساني" ونقلناه آنفاً:

«وتقريره أنّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام تكون أوقاتهم مشغولة بالله تعالى، وقلوبهم مملوءة به، وخواطرهم متعلقةً بالملائ الأعلى، وهم أبداً في المراقبة. كما قال عليه السلام: "اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". فهم أبداً متوجهون إليه ومقبلون بكلهم عليه، فمتى انحطوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنباً واعتقدوه خطيئةً واستغفروا منه، ألا ترى أن بعض عبيد أبناء الدنيا لو قعد وأكل وشرب ونكح وهو يعلم أنه بمرأى من سيّده ومسمع لكان ملوماً عند

1 - انظر: الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة، ج 2، ص 254.

2 - انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج 6، ص 366.

3 - انظر: صدر الدين، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج 4، ص 132.

الناس ومقصرًا فيما يجب عليه من خدمة سيده ومالكه، فما ظنك بسيّد السادات وملك الأملاك.

وإلى هذا أشار عليه السلام: "إِنَّهُ لِيَعَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ بِالنَّهَارِ سَبْعِينَ مَرَّةً". ولفظة السبعين إنما هي لعدّ الاستغفار لا إلى الرين⁽¹⁾، وقوله: "حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ" ... فقد بان بهذا أنه كان يعدّ اشتغاله في وقت ما بما هو ضرورة للأبدان معصيةً يستغفر الله منها، وعلى هذا فقس البواقي، وكلّما يرد عليك من أمثالها⁽²⁾.

ويمكن أن نويد هذه النظرية بما نسب إلى الإمام السجّاد عليه السلام

في (مناجاة المتوسّلين):

«أَنْتَ الْمُسَيِّحُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَالْمَعْبُودُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَالْمَوْجُودُ فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَالْمَدْعُوُّ بِكُلِّ لِسَانٍ، وَالْمُعَظَّمُ فِي كُلِّ جَنَانٍ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ بَغَيْرِ ذِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ رَاحَةٍ بَغَيْرِ أَنْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ سُرُورٍ بَغَيْرِ قُرْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ شُغْلٍ بَغَيْرِ طَاعَتِكَ»⁽³⁾.

1 - في نسخة من المصدر: لا إلى الغين. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج 25، ص 205.

2 - الإربلي، محمّد بن عيسى، كشف الغمّة، ج 2، ص 254.

3 - المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج 91، ص 151.

يقول العلامة الطباطبائي رحمته في هذا الصدد:

«وكَلَّمَا دَقَّ الْمَسْلُوكَ وَلَطَفَ الْمَقَامَ ظَهَرَتْ هُنَالِكَ خَفَايَا مِنَ الذَّنُوبِ كَانَتْ قَبْلَ تَحَقُّقِ هَذَا الظَّرْفِ مَغْفُولًا عَنْهَا لَا يَحْسَسُ بِهَا الْإِنْسَانُ الْمَكْلَفَ بِالتَّكْلِيفِ، وَلَا يُؤَاخِذُ بِهَا وَلِيَّ الْمُواخِذَةِ وَالْمَحَاسِبَةِ. وَيُنْتَهِي ذَلِكَ - فِيمَا يُعْطِيهِ الْبَحْثُ الدَّقِيقَ - إِلَى الْأَحْكَامِ النَّاشِئَةِ فِي ظَرْفِي الْحَبِّ وَالبَغْضِ فَتَرَى عَيْنَ الْمَبْغُضِ - وَخَاصَّةً فِي حَالِ الْغَضَبِ - عَامَّةَ الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ سَيِّئَةً مَذْمُومَةً، وَيَرَى الْمَحَبَّ إِذَا تَاهَ فِي الْغَرَامِ وَاسْتَغْرَقَ فِي الْوَلِهِ أَدْنَى غَفْلَةٍ قَلْبِيَّةٍ عَنْ مَحْبُوبِهِ ذَنْبًا عَظِيمًا، وَإِنْ اهْتَمَّ بِعَمَلِ الْجَوَارِحِ بِتَمَامِ أَرْكَانِهِ، وَلَيْسَ إِلَّا أَنَّهُ يَرَى أَنَّ قِيَمَةَ أَعْمَالِهِ فِي سَبِيلِ الْحَبِّ عَلَى قَدَرِ تَوَجُّهِ نَفْسِهِ وَانْجِدَابِ قَلْبِهِ إِلَى مَحْبُوبِهِ، فَإِذَا انْقَطَعَ عَنْهُ بِغَفْلَةٍ قَلْبِيَّةٍ فَقَدْ أَعْرَضَ عَنِ الْمَحْبُوبِ وَانْقَطَعَ عَنْ ذِكْرِهِ وَأَبْطَلَ طَهَارَةَ قَلْبِهِ بِذَلِكَ.

حَتَّى أَنَّ الْاِشْتِغَالَ بِضُرُورِيَّاتِ الْحَيَاةِ مِنْ أَكْلِ وَشَرْبٍ وَنَحْوِهِمَا يَعَدُّ عِنْدَهُ مِنَ الْإِجْرَامِ وَالْعَصْيَانِ؛ نَظْرًا إِلَى أَنَّ أَصْلَ الْفِعْلِ وَإِنْ كَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ الَّذِي يُضْطَرُّ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ، لَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الْاِضْطْرَارِيَّةِ مِنْ حَيْثُ أَصْلُهُ اخْتِيَارِيٌّ فِي نَفْسِهِ، وَالْاِشْتِغَالَ بِهِ اِشْتِغَالَ بِغَيْرِ الْمَحْبُوبِ، وَإِعْرَاضٌ عَنْهُ اخْتِيَارًا وَهُوَ مِنَ الذَّنْبِ؛ وَلِذَلِكَ نَرَى أَهْلَ الْوَلِهِ وَالْغَرَامِ وَكَذَا الْمَحْزُونِ الْكَثِيبِ وَمَنْ فِي

عداد هؤلاء يستتكفون عن الاشتغال بأكلٍ أو شربٍ أو نحوهما.
وعلى نحوٍ من هذا القبيل ينبغي أن يحمل ما ربّما يروى
عنه عليه السلام من قوله: "إنّه ليغان على قلبي فأستغفر الله كلّ يوم سبعين
مرّةً" (1).

بيد أنّ البعض لم يقبل هذا التحليل، وأشكوا عليه بأنّ أولياء
الله - تعالى - كانوا يقصدون القربة إلى الله من كلّ أعمالهم المباحة
في ظاهرها؛ ولذا فإنّ المباحات عندهم كانت تعبداً لله سبحانه، فلم
يكن هنالك من عملٍ يمكن تسميته مباحاً بالنسبة لهم كسائر
البشر (2).

الجواب الثاني: أنّ البعض ومن جملتهم العلامة الزاقيّ والسيد ابن
طاووس - كما جاء في كتاب (كشف الغمة) - قالوا إنّ هذا النمط
من الاستغفار وإظهار التذلل أمام الله - تعالى - ذو هدفٍ تعليميٍّ؛
إذ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده عليهم السلام علّموا الناس باستغفارهم
ودلّوهم على طريق الرجوع إلى الله عزّ وجلّ، فلا بدّ من تعلّم آداب

1 - الطباطبائيّ، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج 6، ص 366.

2 - السيزواريّ، الملا هادي، أسرار الحكم، ج 1، ص 479 و 480.

التعبّد وطرق التوبة من كلام المعصومين عليهم السلام وعلمهم الذين علّموا الناس هذه الطريقة⁽¹⁾.

يمكن الإيراد عليه بأنه قد يكون الأمر كذلك في بعض الموارد بنحو الموجبة الجزئية، ولكن لا يمكن إعمامه للحالات الخاصة التي يخلو فيها المعصوم برّبه، وإتما قد يتفق اطلاع الغير عليه كما في قصة عائشة والنبي صلى الله عليه وآله في ليلة التّصف من شعبان، حيث روي عنها أنّها قالت:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عِنْدِي فِي لَيْلَةِ اللَّيْلِ كَانَتْ عِنْدِي، فِيهَا فَانْسَلَّ مِنْ لِحَافِي فَانْتَبَهْتُ فَدَخَلَنِي مَا يَدْخُلُ النِّسَاءَ مِنَ الْعَبْرَةِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ فِي بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَإِذَا أَنَا بِهِ كَالثَّوْبِ السَّاقِطِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ سَاجِدًا عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: "أَصْبَحْتُ إِلَيْكَ فَقِيرًا خَائِفًا مُسْتَجِيرًا؛ فَلَا تُبَدِّلْ اسْمِي وَلَا تُعَيِّرْ جِسْمِي وَلَا تُجْهِدْ بِلَائِي وَاعْفِرْ لِي". ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَسَجَدَ الثَّانِيَةَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخِيَالِي وَأَمَنْ بِكَ فُوَادِي هَذِهِ يَدَايِ بِمَا جَنَيْتُ عَلَى

1 - انظر: الإربلي، محمد بن عيسى، كشف الغمّة، ج 2، ص 254؛ النزاق، محمد مهدي، جامع السعادات، ج 3، ص 81.

نَفْسِي، يَا عَظِيمٌ تُرَجِّي بِكُلِّ عَظِيمٍ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي الْعَظِيمَ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الْعَظِيمَ إِلَّا الْعَظِيمُ" (1).

الجواب الثالث: أن استغفار المعصومين نوعٌ من العبادة - كما هو تسبيحهم ودعاؤهم - لرفع درجاتهم، وليس ناجماً عن ذنوبٍ اقترفوها. يقول المرحوم المجلسي في شرحه على (الكافي) في باب (ابتلاء الأولياء بالبلاء): «إنَّ استغفار النبي ﷺ كما أنه لم يكن لحظّ الذنوب بل لرفع الدرجات، فكذا ابتلاؤهم عليهم ليست لكفارة الذنوب، بل لكثرة المثوبات وعلوّ الدرجات» (2).

الجواب الرابع: لما كان إدراك عظمة الإله والعبادة على درجاتٍ مختلفةٍ، نرى أولياء الله عندما يصلون إلى درجةٍ أعلى من التي سبقتها، وعندما يطوون مرحلةً كماليةً ويدخلون مرحلةً أكمل؛ يوقنون بأنّ أعمالهم في المرحلة السابقة أعمالٌ صغيرةٌ أمام عظمة الله جلّ شأنه؛ ولذا فإنّهم يتوبون عنها ويستغفرون (3).

1 - الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدّد وسلاح المتعبّد، ج 2، ص 839 و841.

2 - المجلسي، محمّد باقر، مرآة العقول، ج 11، ص 347.

3 - انظر: البحراني، محمد بن عبد الله، شرح دعاء النبي ﷺ بعد الصلاة،

ويشهد لذلك ما نلاحظه في أحوال الأئمة من حالات التضرع والدعاء والطلب، وكذلك اجتهادهم في العبادة لله، وقد ورد في النصوص ما يشير إلى تكاملهم، منها ما رواه الكليني في (الكافي) في باب (أن الأئمة عليهم السلام يزدادون في ليلة الجمعة)⁽¹⁾، وباب (لولا أن الأئمة عليهم السلام يزدادون لنفد ما عندهم)⁽²⁾، ومفاد ذلك ازدياد علومهم وكمالات مقامهم الإنساني:

«عَنْ يُونُسَ أَوْ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ إِلَّا وَلِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِيهَا سُورٌ. قُلْتُ: كَيْفَ ذَلِكَ جُعِلَتْ فِدَاكَ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ وَافَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْعَرْشَ وَوَافَى الْأَئِمَّةَ عليهم السلام وَوَاقَيْتُ مَعَهُمْ، فَمَا أَرْجِعُ إِلَّا بِعِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَتَفِدَ مَا عِنْدِي»⁽³⁾.

«وَرُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله سَأَلَ رَبَّهُ -

المطبوع في ضمن (مجموعة رسائل في شرح أحاديث الكافي)، ج 2، ص 199؛

الغزالي، أبو حامد، الأربعون في أصول الدين، ص 117.

1 - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج 1، ص 253.

2 - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج 1، ص 254.

3 - المصدر السابق.

سُبْحَانَهُ - لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَيْسَ شَيْءٌ أَفْضَلَ عِنْدِي مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيَّ وَالرِّضَا بِمَا قَسَمْتُ. يَا مُحَمَّدُ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَعَاظِفِينَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيَّ، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتِي عِلْمٌ وَلَا غَايَةٌ وَلَا نِهَائَةٌ وَكَلَّمَا رَفَعْتُ لَهُمْ عِلْمًا وَضَعْتُ لَهُمْ عِلْمًا»⁽¹⁾.

الجواب الخامس: لا شك أنّ الأنبياء وسائر المعصومين عليهم السلام هم بشرٌ يعيشون كسائر الناس، ويتعاملون معهم، وهذا بنفسه يوجب بدرجةٍ ما انشغالاً عن الحقّ سبحانه، فهم وإن كانوا يرون الخلق والمخلوقين مرآةً لرؤية الحقّ سبحانه، ولكنها مرآةٌ لا تخلو من كدورة الاشتغال بالكثرات، وهي درجةٌ دون الاشتغال بوحدة الحقّ - تعالى - بنفسه، فيكون الاستغفار من هذا الاشتغال المشوب بالكدورة، يقول الإمام الخميني رحمته الله في مقدّمة كتابه (آداب الصلاة):

«أي بني، اسع أن تسير على الصراط المستقيم.. صراط الله، حتى

لو كان سيرك في هذا الصراط بطيئاً، واجعل كلَّ حركاتك وسكنات قلبك تصطبغ بلون المعنويّة، واجعل [سبب] خدمتك للخلق منحصرًا في كونهم خلق الله. إنّ أنبياء الله وأوليائه الخاصين لم يكونوا من أهل الدنيا، مع أنّهم كانوا يعملون ويتعيّشون كما يتعيّش الناس؛ إذ إنّ اشتغالهم كان بالحقّ وللحقّ، وقد روي عن الرسول الخاتم ﷺ أنّه قال: "إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً". ولعلّه ﷺ كان يعدّ رؤية الحقّ في الكثرة كدورة⁽¹⁾.

وفي موضع آخر من الكتاب، يقول السيّد الخميني رحمته الله:
 «وإذا كان سيّد الأنبياء ﷺ يقول: "ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرّة"، فذلك لأنّ رؤية جمال المحبوب في المرايا، خصوصاً المرايا الكدرة كأبي جهل، يكون للكامل كدورة. وإذا لم يكن قلبهم قويًّا، وكان الاشتغال بالكثرات حائلًا دون الحضور، فبمجرد أن يقلّ اشتغالهم [بهذه الكدورات] فإنّ طائر قلوبهم سيطير ليحلّق في حضيرة القدس، ليتعلّق بجمال الجميل

[جَلَّ ثَنَاؤُهُ] (1).

الجواب السادس: أن الإنسان العارف لا يرى نفسه شيئاً، بل يراها هالكَةً باطلةً في حد ذاتها، وإثما قوامها بباريها، وعمله بالطاعة إنما هو بقوة الله - تعالى - وإقدارٍ منه، فكلمًا أحدث شكرًا لزمه شكرٌ على شكره، وكل ذلك دون استحقاقٍ من صوره وأقدره، وبكيفية شكره أعلمه وأخبره؛ فأنى يبرأ العبد من التقصير؟! وأنى يقوم بما يستوجبه اللطيف الخبير (2)؟!

الجواب السابع: أن استغفارهم عليهم السلام كان لأهمهم وشيعتهم، ويمكن أن يستفاد هذا الوجه مما ذكره المجلسي - رحمته الله في شرحه لرواية تشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (3). بقوله: «وللشيعة في تأويله أقوال: أحدها: أن المراد هو ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب أمتك وما تأخر بشفاعتك، وإضافة ذنوب أمته إليه للاتصال والسبب بينه

1 - المصدر السابق، ص 55.

2 - البحراني، محمد بن عبد الله، شرح دعاء النبي صلى الله عليه وآله بعد الصلاة، المطبوع في ضمن مجموعة رسائل في شرح أحاديث (الكافي)، ج 2، ص 200.

3 - سورة الفتح: 1 و2.

وبين أمته، ويؤيده ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: "سأله رجل عن هذه الآية فقال: والله ما كان له ذنب ولكن الله - سبحانه - ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة علي ما تقدم من ذنبهم وما تأخر". وروى عمر بن يزيد عنه عليه السلام قال: "ما كان له ذنب، ولا هم بذنب ولكن الله حمّله ذنوب شيعته ثم غفرها له"⁽¹⁾.

النتيجة

يتّضح ممّا تقدم اتّفاق الوجوه السابقه على أمرٍ واحدٍ تشترك فيه، وهو عدم كون استغفار الأنبياء راجعاً للمعاصي المتعارفة المعهودة، كما تشير إليه رواية علي بن رثاب:

«عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِثَابٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أَرَأَيْتَ مَا أَصَابَ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ عليه السلام مِنْ بَعْدِهِ هُوَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَهُمْ أَهْلُ بَيْتِ طَهَارَةٍ مَعْصُومُونَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِئَةَ مَرَّةٍ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، إِنَّ اللَّهَ يُحْضُّ أَوْلِيَاءَهُ بِالْمَصَائِبِ لِيَأْجُرَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ»⁽¹⁾.

فاستغفار أولياء الله لا يتنافى مع عصمتهم، ويمكن توجيهه بما

يلي:

استغفارهم لم يكن ناشئاً من عصيان الأوامر التي جاءوا بها أنفسهم لهداية الناس، وإذا وردت نسبة العصيان إليهم فلا بدّ من تفسيره بما يناسب مكانتهم، فأقلّ قصورٍ يصدر عنهم في التفاتهم إلى

1 - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج 2، ص 450.

الله يعدُّ معصيةً منهم، ولا يُعدُّ معصيةً لغيرهم.

استغفارهم كان لتعليم الناس آداب التعبّد والرجوع إلى الله .

استغفارهم كان نوع عبادةٍ لرفع درجاتهم وليس عن ذنبٍ

اقترفوه.

الأنبياء في سلوكهم درجات المعرفة، كلما يرتقون درجةً في المعرفة

يرون معرفتهم وعباداتهم السابقة لا تليق بعظمة الله، فيستغفرون

منها.

يستغفرون من رؤية الحقّ في الكثرات الخلقية.

يرون أنفسهم في حدّ التقصير مهما كان مقامهم.

يستغفرون لذنوب أمهم وشعيتهم؛ لأنّهم منتسبون إليهم.

المصادر

القرآن الكريم .

1. الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، تحقيق هاشم رسولي محلاتي، الناشر: بني هاشميّ، تبريز، الطبعة الأولى 1423 هـ.
2. البحراني، محمّد بن عبد الله، شرح دعاء النبي ﷺ بعد الصلاة، المطبوع ضمن (مجموعه رسائل در شرح احاديثي از كافي) للشيخ سليمانّي آشتيانيّ، مهدي ومحمد حسين درايّتي، دار الحديث، إيران؛ قم، الطبعة الأولى، سنة 1429 هـ.
3. الديلميّ، حسن بن محمّد، إرشاد القلوب إلى الصواب، الشريف الرضيّ، قم، الطبعة الأولى، سنة 1412 هـ.
4. السبزواريّ، المآهاديّ، أسرار الحكم، المطبوعات الدينيّة، قم، الطبعة الأولى، سنة 1425 هـ.
5. صدر الدين الشيرازيّ، محمّد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، مؤسّسة الأبحاث الثقافيّة، طهران، الطبعة الأولى، 1425 هـ.
6. الطباطبائيّ، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة النشر-الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة بقمّ.
7. الطوسيّ، الحواجة نصير الدين، أوصاف الأشراف، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ.

8. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدّج وسلاح المتعبّد، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1411 هـ.
9. الغزالي، أبو حامد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1409 هـ.
10. الفاضل المقداد، المقداد بن عبد الله السيوري الحلي، الأنوار الجلالية في شرح الفصول النصيرية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الطبعة الأولى، سنة 1420 هـ.
11. الكليبي، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، سنة 1407 هـ.
12. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق جمع من المحققين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.
13. المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تحقيق هاشم رسولي محلاتي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، سنة 1404 هـ.
14. الموسوي الخميني، روح الله، آداب نماز، مؤسّسة چاپ ونشر عروج، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار امام خميني رحمه الله، 1373 ش.
15. الزاقي، محمد مهدي، جامع السعادات، تحقيق السيد محمد كلانتر - تقديم الشيخ محمدرضا المظفر، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف.

المحتويات

٥	كلمة المؤسّسة
٩	مقدّمَةٌ
١٠	تفصيل الشبهة
١٢	الجواب عن الشبهة
٢٧	النتيجة
٢٩	المصادر
٣١	المحتويات

